



* التقدمة

يقول بولس الرسول: "لأنني تسلمت من الرب ما سلمتكم ايضاً، ان الرب يسوع في الليلة التي أسلم فيها اخذ خبزاً وشكر فكسر وقال: خذوا كلوا هذا هو جسدي المكسور لأجلكم. أصنعوا هذا لذكري". (١ كورنثوس ١١: ٢٣-٢٤). احدى اهم التقاليد الارثوذكسية الاصلية ان يحمل المؤمن القربان (الخبز) الى هيكل الرب ليقدمه الكاهن على المذبح ويذكر اسماء الاحياء والاموات المختصين به.

تقديم القربان لكي تقام بها الذبيحة الالهية امر جوهري واساسي في الكنيسة. انها تقدمة الشكر لله على ما اعطانا . أما يسمى القداس الالهي سر الشكر او الافخارستيا (باليونانية) ؟ عبر القربان نقدم انفسنا لله كما نقدم كل حياتنا والعالم الذي نعيش فيه. ما معنى هذا الكلام؟

عبر تقديمنا الخبز والخمر، هذه التقدمة البشرية المتواضعة، نحن نؤدي دون ان ندري احد اقدم الطقوس البدائية البشرية. كل انسان منذ فجر الخليقة كان يشعر بضرورة تقديم افضل ما لديه لله ليشكره على كل ما اعطاه. ألم يخلقنا الله كهنة لكي نقيم سر الحياة ونحوّل الحياة الى حياة في الله وشركة مع الله. ولكننا فقدنا هذه النعمة مع السقوط. وبما اننا استعدناها مع يسوع المسيح فيجب علينا ان نقوم بمهامنا الكهنوتية ونقدم الذبيحة لله. الانسان لديه عطش دائم الى الله: "عطشت نفسي الى الله، الى الاله الحي" (مزمو ٤٢: ٢). فهو يبتغي الله ويريد الاتحاد به لكن الخطيئة تبقى حاجزاً أمامه. لذلك يرى في الذبائح تكفيراً عن ذنوبه وعودة الى الله. فأصبحت الذبيحة العمل الطبيعي الابرز للانسان وهي جوهر حياته بالذات. "قالإنسان كائن ذبائحي لأنه في الحب يجد ذاته، والحب ذبائحي الطبع: يضع قيمة الحياة ومعناها في الآخر واياها يعطيه، وهو، بهذا العطاء وهذه الذبيحة، يجد لحياته معنى وفرحاً" (الاب الكسندر شميمان).

الكلمة اليونانية لخبز التقدمة (القربان) هي prosphora وتعني تقدمة لله. يُستعمل الخبز ليس فقط لأنه يرمز الى يسوع المسيح الذي هو خبز الحياة النازل من السماء (يوحنا ٦: ٥١)، بل لأن الخبز يمثل الحياة ايضاً. انه عصب الحياة. علينا ان نأكل الخبز لنستمر في الحياة (هذا المفهوم مهم جداً وواضح بالنسبة لمجتمعنا الشرقي حيث يشكل الخبز العنصر الاساسي لغذائنا اليومي).

هكذا بتقديم الخبز والخمر نقدّم ذواتنا الى الله، نقدم له حياتنا والعالم اجمع. انها تقدمة محبتنا لله، والكاهن يقبل تقدمتنا ويضعها على المذبح المقدس وهذا يعني قبول الله لتقدمتنا. نقدّم لله جزءاً مما اعطانا هو. لهذا نقول في القداس الالهي: "التي لك مما لك نقدمها لك عن كل شيء ومن جهة كل شيء". نقدّم هذه الهدية، التقدمة، الخبز والخمر، واضعين فيها نفسنا وعقلنا وقلبنا وروحنا وجسدنا وكل ما لنا لتوضع على صينية التقدمة على مذبح الرب. يجب ان نفرغ قلبنا في الكأس مع الخمر، ونضع فيه كل رجائنا ومخاوفنا وافراحنا واحزاننا ومحبتنا واحترامنا وطاعتنا والتزامنا. كل هذا يذهب الى الله بصورة تقدمة، وهنا تكمن مشاركتنا في الذبيحة: يصبح للتقدمة معنى عندما نقدّم انفسنا والا فانها لا تعني شيئاً. من هنا التشديد على ان هذه التقدمة يجب ان تكون فعلاً صادرة منا. لذلك، في الكنيسة الاولى، وفي الماضي القريب، وعى المؤمنون هذه الحقيقة وكانوا هم يعجنون الخبز "بعرق جبينهم"، ويتعبون بعصر الخمر ليقدموها الى الهيكل وذلك تعبيراً عن مشاركتهم الفعلية بالتقدمة. أما من لم يكن قادراً على تقديم شيء، كالايتام والفقراء، فكانوا يساهمون في التقدمة عبر جلب المياه (من النبع) وبذلك يقدمون تعب اجسادهم ذبيحة.

من المهم ايضا ان نعي اننا حين نقدم هذه القرابين انما نفعل ذلك في المسيح لأنه بدون يسوع المسيح لا معنى لذبيحتنا. فالمسيح هو "المقرب والمقرب والقابل والموزع". فرادة الافخارستيا تكمن في ان ما نقربه هو يسوع المسيح، الخبز والخمر اللذان سيحولان الى جسده ودمه، ولكن الذي يقربهما هو يسوع. كيف؟

في العهد القديم كانوا يقدمون الذبائح للتكفير، كما ذكرنا اعلاه، لكنها لم تكن تدمر الخطيئة وتستعيد الوحدة الكاملة مع الله بدليل ان رئيس الكهنة كان كل سنة يقدم الذبائح عن الخطايا (راجع الرسالة الى العبرانيين (١:١٠ - ١٠). لكن يسوع قرب ذبيحة جسده "مرة واحدة الى الابد" ومحا صك الخطيئة المكتوب علينا، لأن ذبيحته كانت تحت ناموس المحبة لا تحت ناموس الشريعة والقانون. فانه هكذا احب الله الناس حتى ارسل ابنه الوحيد "مولودا من امرأة مولودا تحت ناموس ليفتدي الذين تحت ناموس لننال التنبؤي" (غلاطية ٤:٤-٥). بذبيحة يسوع هذه أبطلت كل الذبائح الاخرى، وبالتالي فان ذبيحتنا التي نقدمها اليوم والتي أمرنا يسوع بأن "نصنعها لذكره" ليست ذبيحة جديدة تختلف عن الذبيحة التي قدمها يسوع مرة واحدة الى الأبد. نطلب من يسوع ان يقدمها هو الى الله الأب ، لأننا ببسوع المسيح "لنا قدوما الى الأب" (افسس ٢:١٨). لذلك اثناء تحضير الذبيحة يقول الكاهن وهو يقطع الحمل "مثل خروف سيق الى الذبح، ومثل حمل بريء من العيب... يرفع حمل الله، يذبح حمل الله لأجل خطايا العالم".

* خدمة الذبيحة (او التقديمة)

خدمة الذبيحة هي خدمة مستقلة بحد ذاتها تفتتح مثل باقي الصلوات بـ"تبارك الله الهنا ... " وتختتم بـ"صلوات آبائنا القديسين ...". قد يتساءل معظم المؤمنين كيف تحضّر الذبيحة وماذا يفعل الكاهن على المذبح وراء الايقونسطاس.

يقع المذبح في الجانب الايسر من الهيكل وهو عبارة عن تجويفة في حائط الهيكل. في حنية المذبح توجد ايقونة الميلاد معلقة او مرسومة، لأن الهدف من التجسد الالهي هو خلاص العالم الساقط بالخطيئة، وهذا الخلاص لم يكن ليتم لولا ذبيحة الصليب التي اتمها يسوع المسيح. لذلك يرتل الكاهن، اثناء ترتيبه الاواني المقدسة (الكأس والصينية ...) قبل البدء بتحضير الذبيحة، طروبارية تقدمية عيد ميلاد السيد: "استعدي يا بيت لحم فقد فُتحت عدن للجميع، تهياي يا افراثا لان عود الحياة قد ازهر في المغارة من البتول، فان بطنها قد ظهر فردوساً عقلياً فيه الغرس الالهي الذي نأكل منه نحيا ولا نموت مثل آدم. المسيح يولد لينهض الصورة التي سقطت منذ القديم". اذا ارتباط الميلاد بالذبيحة واضح جداً لان عملية الخلاص عملية متكاملة تبتدىء بالميلاد، ولان يسوع من لحظة مولوده كان متوجهاً نحو الذبيحة، ذبيحة الصليب، ليحقق الخلاص. هذا ما نقرأه في الكتاب المقدس حيث نسمع سمعان الشيخ يقول للعدراء عندما قدمت طفلها يسوع الى الهيكل "... وانت ايضا يجوز في نفسك سيف". (لوقا ٢: ٣٥).

يأخذ الكاهن احدى القرابين المقدّمة ويرفعها الى مساواة جبهته ويقول: "لقد اشتريتنا من لعنة الناموس بدمك الكريم لما سُمّرت على خشبة، ولما طُعنّت بحربة أنبعت للبشر عدم الموت يا مخلصنا المجد لك". فالرب يسوع دفع ثمن خلاصنا وقد اشترانا بدمه الكريم المهراق على الصليب (١ كو ٦: ٢٠). وهذه الذبيحة هي تذكّار للذبيحة التي قدّمها يسوع على الصليب. هنا نود التشديد على ان التذكّار لا يعني مجرد التذكّر العقلي الفكري. التذكّار بحسب المفهوم الكتابي هو احياء الحدث من جديد وعيشه والتفاعل معه كأنه حاصل الآن.

يقول الكاهن: "تبارك الله الهنا كل حين ...". مفتتحاً خدمة التقديمة، ثم يرسم بالحربة علامة الصليب فوق الجزء الوسط من القربانة الذي يسمى الحمل قائلاً: "لتذكّار ربنا والهنا ومخلصنا يسوع المسيح". نجد كل قربانة مختومة بطابع

IC	XC
NI	KA

الذي يعني: "يسوع المسيح".
الغالب (المنتصر).

يقطع الكاهن هذا الحمل من القربانة ومنه فقط تتم المناولة.

يقطع الكاهن بالحربة الجانب الايسر من الختم وهو يقول: "مثل خروف سيق الى الذبح" (أش ٥٣:٧) ثم الجانب الايمن وهو يقول: "ومثل حمل بريء من العيب امام الذي يجزه هكذا لم يفتح فاه" (اش ٥٣). ثم الجانب الأعلى قائلًا: "بتواضعه ارتفعت حكومته"، ثم الجانب الاسفل قائلًا:

" اما جيله فمن يصفه". ونلاحظ ان كل هذه الآيات مأخوذة من أشعياء الذي يتحدث عن المسيا المنتظر الذي سيحقق الخلاص ولكن بطريقته. ثم يدخل الكاهن الحربة في أسفل القربانة تحت الحمل ويرفع الحمل (الطابع ولب القربانة فقط) قائلًا: "لأن حياته قد ارتفعت من الأرض" ويضعه في الصينية المخصصة للذبيحة مقلوبا ويقطع لب الحمل (فقط) بشكل صليب قائلًا: "يذبح حمل الله الرافع خطيئة العالم من أجل حياة العالم". ثم يضع الحمل صحيحا ويطعن بالحربة فوق الحرف NI قائلًا: "وان واحدا من الجند طعن جنبه بحربة وللوقت خرج من جنبه المقدس دم وماء والذي عاين شهد وشهادته حق". هنا يسكب الكاهن الخمر والماء في الكأس ويبارك المزيج قائلًا: "مبارك هو اتحاد قدساتك كل حين الآن وكل اوان والى دهر الذاهرين. آمين".

بعد ان ينتهي الكاهن من وضع الحمل على الصينية وسكب الخمر والماء في الكأس، يرفع جزءا من جانب القربانة على شكل مثلث مخصص لآكرام والدة الاله العذراء ويضعه عن يمين الحمل قائلًا: "قامت الملكة عن يمينك موشحة ومزينة بثوب مذهب". ثم يرفع تسعة اجزاء على شكل مثلثات ويضعها على يسار الحمل وهي لآكرام: رؤساء الملائكة والملائكة، النبي يوحنا المعمدان وسائر الانبياء، الرسل القديسين والرسول مؤسس الابرشيّة، رؤساء الكهنة معلمي المسكونة، الشهداء القديسين، الرهبان والابرار، القديسين اطباء العادمي الفضة، القديسين يواكيم وحنة ويوسف الخطيب وسمعان الشيخ والقديس الذي نعيد عيده اليوم، والقديس يوحنا الذهبي الفم (او باسيليوس الكبير) كاتب خدمة القديس الالهي. ثم يرفع ثلاثة اجزاء مثلثة اخرى ويضعها تحت الحمل وهي من اجل الاساقفة الارثوذكسيين ومطران الابرشيّة ونفسه. واذا كان الكاهن قد نال الشرطونية عن يد مطران غير مطران الابرشيّة يرفع جزءا خاصا به. ثم يبدأ الكاهن بالذكريات اي يفتتح اجزاء صغيرة من أجل الاحياء والراقدين الذين يريد ان يذكرهم من ابناء رعيته والمختصين بهم. هكذا نستطيع ان نشبه الصينية بالكون، لأن الرب موجود في وسطها يحيط به والدة الاله والملائكة والقديسين ورؤساء الكهنة والشعب، الاحياء والاموات. كل الكون مجتمع حول الرب نذكر هنا ان المناولة تتم فقط من الحمل، اما اجزاء القديسين واجزاء الاحياء والاموات فيبقىها الكاهن على الصينية الى ان ينتهي من مناولة الشعب، وبعدها يدخل الهيكل ويضع هذه الاجزاء في الكأس

قائلاً: "أغسل يا رب بدمك الكريم خطايا عبيدك المذكورين ههنا بشفاعات والدة الاله وجميع قديسيك". اي ان من قدمنا لأجلهم الذبيحة تختلط الاجزاء المختصة بهم بدم الرب وجسده ونطلب منه ان يذكرهم بشفاعات العذراء والقديسين. نذكر ايضاً ان بعد الانتهاء من القداس يأكل الكاهن المتبقي من الجسد والدم في الكأس مع اجزاء القديسين واجزاء الاحياء والاموات وبذلك يتحد الراعي مع الرعية، يلتهم الرعية، من خلال يسوع المسيح.

بعد ان ينتهي الكاهن من تحضير الذبيحة يضع النجم فوق الصينية قائلاً: وجاء النجم ووقف حيث كان الصبي" (ايقونة الميلاد)، ثم يغطي الصينية بالستر الصغير قائلاً: الرب قد ملك والجمال لبس، لبس الرب القوة وتمنطق بها"، ثم يغطي الكأس قائلاً: "غطت فضياتك السماوات وامتألت الأرض من تسبحتك يا رب". بعدها يغطي الكل بالستر الكبير قائلاً: "استرنا يا رب بستر جناحك واطرد عنا كل عدو ومحارب" ويخير الذبيحة قائلاً: "مبارك انت يا الهنا الذي هكذا ارتضيت فالمجد لك". وهذه اشارة الى ان الرب بارادته ارتضى ان يُذبح لأجل البشر. اخيراً يتلو صلاة صغيرة لكي يقبل الله هذه الذبيحة على مذبحه السماوي ويبارك الذين قُدمت من أجلهم، وبعدها يختم الصلاة.